بابلو نيرودا

اسبانيا في القلب

نشيد لأمجاد الشعب المحارب (١٩٣٦-١٩٣٧)

القصيدة الخالدة التي كتبها نيرودا خلال الحرب الاهلية الاسبانية

ترجمها عن الاسبانية : ماهر البطوطي

ابتعاث

لكي نبدأ ،
لكي تتوج الوردة الطاهرة المشطورة
لكي يتوج منبع السماء والهواء والارض ،
ارادة نشيد له دوي المتفجرات
رغبة نشيد رحيب ، رغبة معدن
يحصد حروبا ويعرّي دماء .
اسبانيا : بللور الكئوس ،
ليست هي تاجا للاكاليل
بل حجر مهروس ، سنابل رقيقة منصرعة
جلد وحيوان تتقد فيهما النيران .
غدا واليوم
يغشى خطواتك الصمت
يغشاها روع الآمال
كالهواء المحيط بكل شيء
يغشاها نور ، قمر ،
قمر مستهلك ، قمر يتنقل من يد ليد
ومن ناقوس الى ناقوس !
يا وطني الام ،
يا حفنة الشوفان التي تيبّست
يا كوكب الابطال الاعجف الدامي !

*

غارات القنابل :

من هم ؟
على الطرقات ، من هم ؟
من ، من ؟
في الظلال ، في الدماء ، من ؟
في الوميض ، من ، من ؟
ويسقط رماد ، ويسقط حديد
وحجارة وموت ونواح ولهيب .
من ، من ، آه يا أماه ، من ، الى أين ؟

*

لعنة :

ايها الوطن المشقوق
اني لأقسم انك في وسط رمادك
سوف تولد من جديد كزهرة المياه الابدية
اني لأقسم انه سيخرج من فمك الى الهواء الطلق
نوّارات الخبز ، والشوكة المسفوحة المتفتحة .
ملعونون بكل لسان
ملعونون ، ملعونون ،
من هبطوا على ساحتك الارضية
بالبلطة والافعى .
ملعونون بكل لسان
من ترصدوا ذلك اليوم
ليفتحوا باب الدار امام الغزاة وقطاع الطرق :
اي شيء فعلتم ؟
هاتوا ، هاتوا المصباح
لتروا الارض متشربة بالدماء
لتروا العظام السوداء وقد التهمتها النيران
وثوب اسبانيا وقد اخترمه الرصاص .

*

اسبانيا فقيرة بسبب الاثرياء :

ملعونون

من لم تبصر عيونهم في يوم من الايام
ملعونون ، اعمياء ملعونون
من لم يقدموا لوطنهم الجليـل
الخبز الذي يحتاجه وانما الدموع .
ملعونة هي البزات العسكرية الملطخة
وسترات الكهنـة ،
كلاب المغارات والاضرحـة
العفنين النتنين .
كان الفقر لاسبانيا
جوادا مفعمـا بالدخان
احجارا تتساقط من نبع المحن
أراضي بكرا من الفلال
أقبية سريـة من الزرقة والقصدير
من البيضيات والابواب
من الاقواس المغلقـة
من الاعماق التي تشتاق الى الولادة
وكل شيء يحرسه حراس مثلثون
في أيديهم البنـادق
وقساوسة لهم لون الفار المذعور
واذناب الملك ذي الكفل العريض .
اسبانيـا الطاهرة
بلد اشجار التفاح والصنوبر
كان يمنعك سادتك الكسالى :
من البذر ، من استكشاف المناجم
من امتطاء الابقـار
ويرغمونك على الاغراق في الفكر كما القبور
وعلى أداء زيارة سنويـة
الى نصب البحار كريستوفر التذكاري (١)
وعلى صهل خطب مع قرود وافدة من امريكا .
هم مثلهم في « المكانة الاجتماعية » وفي العفونة .
ليس لكم ان تشيدوا المدارس
ولا ان تشقوا قشرة الارض بالمحراث
ولا ان تعمروا مخازن الفلال بوفير الحنطة :
بل صلّوا ، صلوا ايتها الحيوانات
لان الها ذا كفل عريض ككفل الملك
ينتظركم ، هنـاك ،
« هناك حيث ستتناولون الحساء ، يا اخوتي » .

*

التقاليـد :

وفي ليالي اسبانيا ، عبر البساتين العتيقة
كانت التقاليد تتمشـى
مغطاة بالمخاط الميـت
تتصبب بالصديد وبالطاعـون
لها ذيل ينفث الضباب ،
شبحـا ، وخيـالا ،
تلتحف برداء الربـو
وفجوات من السترات الدامية
وكـان وجهها
ذو العيون العميقـة المحتجزة
ثعابين خضراء تلتهم القبور
وفمها الخالي من الاضراس
يطحـن كـل ليلـة
القمحة التي لم تولد بعـد
والمعدن الخفي .
كانت تتنزه وتاجها ذو الخراشف الخضراء
ينثر عظامـا بهمـاء للموتى وللحناجر .

*

مدريـد ١٩٣٦ : (٢)

اي مدريد ، الوحيدة المهيبة
لقد فاجأك يوليو في وسط افراحك
ذات اقراص الشهد المتواضعة .
صافيا كان دربـك
صافيا كان حلمك .
وحطم فواق اسود من الجنرالات
حطمت موجة من السترات الكهنوتية الفاضبة
مياهها الواحلة وانهار بصاقها
بين ركبتيـك .

*

ودافعت عن نفسك اي مدريد
وما زالت عيناك جريحتين من النوم
بالبنادق ، بالاحجار
اي مدريد التي جرحت من فورها .
كنت تجرين في وسط الطرقات
مخلفة وراءك آثارا من دمائك الطاهرة
تجمعين وتنادين بصوت محيطي
بوجه قد تبدل الى الأبد
بفعل ضياء الدمـاء
كالجبل الآخذ بالثأر
كنجمة السكاكين التي تصفر .

*

وحين اقتحم حسامك المشتعل باللهيب
الثكنات المظلمـة
وغرف المقدسات بالكنائس
تلك التي دبجت استار الخيانة
لم يكـن غير صمت الفجر

لم يكن غير خطوات راياتك
وقطرة كريمة من الدم في ابتسامتك .

*

اشرح بعض الاشياء :
وستسألون : وأين هي الزنابق ؟
اين هي الميتافيزيقا المغطاة بشقائق النعمان ؟
أيـن هي الامطـار
التي كثيرا مـا تضرب كلمـاتها
فتملأها بالثقوب وبالاطيار ؟

*

لسوف اقص عليكم كل مـا جرى لي .
لقد كنت اعيش
في حي من احياء مدريـد
يزخر بالاجراس ، بالساعات ، بالاشجار .

*

من هنـاك
كانت تستبيـن صفحة قشتالة الجافة
كأنمـا هي محيط من الجلد .
كان بيتي يدعى بيت الزهـور
فمن كل ناحيـة فيـه
تتفجـر زهرات الجيرانيوم .
كان منزلا جميـلا
تمرح فيه الكلاب الاليفـة والاطفال .
اتذكـر اي راؤول ؟
اتذكـر اي رافاييل ؟
اتذكـر اي فديريكـو
وانت تحت الثرى
اتذكر بيتي ذا الشرفات
حيث كان نور يونيو يفرق الزهور في فمك ؟

*

واأخاه ، واأخاه !
كل شيء كان موجا من الاصوات :
ملح البضائـع
أكوام الخبز النابض
تلك هي اسواق الجوار في حي «ارجوييى»
بتمثاله الذي يقوم كالمجبرة الشاحبة وسط الاسماك
بينما الزيت يصل الى ملاعقه
ونبض عميق من الاقدام والايادي
يملأ الطرقات ،
المترو ، اللترات ، شذى الحياة الحاد
الاسماك المكدسة ،
نسيج سقف ذات شمس باردة
حيث يصاب السهم بالكلل ،
عاج البطاطس المحموم الرقيق
وحبات الطماطم تتكاثر حتى تصل الى البحر
وذات صباح ، اشتعل كل شيء
وذات صبـاح
خرجت النيران من الارض
تلتهـم الكائنـات .
ومنذ يومها النيـران ،
ومنذ يومهـا الدماء .

*

قطاع طرق بصحبة الطائرات والغزاة
قطاع طرق بصحبة الخواتيم والدوقات
قطاع طرق بصحبة القسس يرسمون علامة الصليب
انين عبر السماء لكي يقتلوا الاطفال .
وعبر الطرقـات
كانت دمـاء الاطفال تسيل
تسيل في بساطة تتناسب مع دم الاطفال .

*

ذئاب تتبرأ منهـا الذئاب
احجار يأنف النبات السام من النفاذ فيها
افاع تزدريهـا الافاعي .

*

لقد رايت في مواجهتكـم
دماء اسبانيـا تهب
لكـي تفرق نفسها في موجة واحدة
من العزة ومن الخناجر !

*

ايهـا الجنرالات
ايهـا الخونـة
انظروا الى بيتـي الميت
انظروا الى اسبانيـا المتحطمة .
غير انه من كل بيت ميت
يخرج معدن ملتهب
بدلا من الزهـور
ومن كل جريمة تولد رصاصات
تخرج اسبانيـا
ومن كل طفل ميـت
تخرج بندقية ذات عيون
ومن كل جريمة تولد رصاصات
سوف تستقر يوما في مكمن الفؤاد منكم .

*

لسوف تتساءلون
لمـاذا لا تحدثنـا اشعاره
عـن الاحلام ، عن الاوراق ،
عن البراكين الفخمة في ارض موطنه ؟

*

تعالوا لتروا الدمـاء تغطي الطرقات
تعالوا لتروا الدمـاء
تغطي الطرقـات !

*

نشيد الى امهات المحاربين الموتى :

كلا ، لم يموتـوا !
انهم وسط البارود
واقفون على اقدامهم

*

لقد توحدت ظلالهم الطاهرة
في ذاك المرج الذي له لون النحاس
مثل ستارة من الرياح المصفحة
مثل حاجز متلون بالغضب
مثل صدر السماء الخفي ذاته .

*

ايتها الامهـات !
ها هم واقفون على اقدامهم وسط القمح
شامخون مثل اعماق الظهيرة
يستشرفون البطاح الشاسعة !
انهم جماعة اجراس ذات صوت اسود
تقرع اصداء الانتصار
عبر اجساد من الصلب المفتال .
يا اخواتي اللائي تماثلن الغبار المتساقط
محطومـات الفؤاد
فلتضعن ايمانكـن في امواتكـن !
فهم ليسوا فقط جذورا
تحت الصخور المخضبة بالدم
ليسوا فقط عظامـا مسكينة ساقطـة
تعمل الى الابد تحت الثـرى
بل ما زالت افواههم تلتهم البارود الجاف
وتهاجم كأنهـا محيط من حديد
وما زالت قبضاتهم المرفوعة عاليا تتعارض والموت.

*

لانه من بين ذلك الحشد من الاجساد
تنهض حياة خفيـة
امهات ، رايـات ، ابنـاء !
جسد واحد حي مثل الحيـاة
ووجه من العيون المزوقة يسهر على الظلمة
حاملا سيفا مفعما بالآمال الارضية !

*

انزعن عنكـن ثياب الحداد
ووحدن من دموعكـن
حتى تنصهـر المعادن
فنحـن نقرع هناك اناء الليـل واطراف النهار
ندوس هناك آناء الليل واطراف النهار
نبصق هناك آناء الليل واطراف النهار
الى ان تتهاوى ابواب الكراهية !

*

انا لا انسى ما لحق يكن من مصائب
واعرف ابناءكـن
فاذا كنت مزهوا بموتكـن
فانا ايضا مزهو بحياتكـن .
ضحكاتكـن
تلتمع داخل « الورش » الصماء
وخطواتكـن في المتـرو
ترن الى جانبي كل يوم .
ومع برتقال المشرق
ومع شبكـات الجنـوب
ومع احبار المطابـع
وفوق اسمنت البنايات
رأيت لهيب قلوبكن طاقة ونيرانا .
وعلى قدر ما تحسه قلوبكن ايتها الامهات
يتقد في قلبي حداد ثقيل وموت ثقيل
كأنمـا هو غابـة
يبللها الدم الذي اغتال ابتساماتكن
وتخطو اليه ضبابات السهد الثائرة
مع وحدة الايام التي تمزق القلوب .

*

ولكـن
من فوق اللعنة تنصب على الضباع الظامئة
على الحشرجات البهيمية
التي تعوي عبر العدوة بنجاستها الظاهرة .
من فوق الغضب ، من فوق الازدراء ، من فوق النواح
ايتها الامهات اللاتي اخترقهن الحزن والموت
فلتنظرن فؤاد اليوم السامي الذي يولد
ولتعلمن ان موتاكن يبسمون من عند الثرى
ويرفعون قبضاتهم من فوق القمح

*

كيف كانت اسبانيـا :

كانت اسبانيا مشدودة جافة
طبلة نهارية ذات صوت قاتم
بطاحا واعشاشا للنسـور
صمتا من الخلاء المجلود بالسياط .

*

كم احب الى حد البكاء ، الى قرار الروح
تربتك الصلدة ، خبزك المقدد
قراك الفقيـرة
كم تكمن في اعماق كياني الدفينة

الزهرة المنسية لضيعاتك المعروقة
لا يعدو عليهـا الزمـن
وأريافك المعدنيـة
تمتد عبر الاقمار وعبر الاعمار
يلتهمها اله فـارغ .
جميع تركيباتـك
عزلتك الحيوانية الى جانب افكارك
تحيط بها احجار الصمت المجردة .
نبيذك المـر
نبيذك الحلـو
كرماتك القوية والرقيقة .

*

ايهـا الحجر الشمسي
النقي من بين مقاطعات الدنيـا
اسبانيا ، التي تعاقبت عليها الدماء والمعادن
زرقـاء منتصرة
بروليتاريـا النوّارات والرصاصات ،
الفريدة الحية الناعسة المرنانة .

*

أويلامو ، كاراسكوسـا ،(٣)
البيندريتي ، بويتراجـو ،
بالنسيا ، ارغندة ، جالفي ،
جالاباجار ، بيالبـا .

*

بنياروبيـا ، ثدرياس ،
الكوثير ، تاموريخو ،
اجوادولتي ، بدريرا ،
فوينتي باليرا ، كولمينار ، سيبولفدا .

*

وصول الفرقة الدولية الى مدريد :
صباح يوم من شهر بارد
من شهـر محتضر لطخه الوحل والدخان
شهـر لا ركبة لـه
شهر حزين من حصار ومصائب
حين كان يسمع عبر زجاج نافذتي المتلة
ابناء آوى الغزاه
يعوون وقد غطت الدماء اسنانهم وبنادقهم
حينئـذ
حين لم نعد نملك آمالا غير حلم من البارود
حين آمنا بانه لم يعد في الدنيـا
سوى وحوش نهمة وجنون
حينئـذ
انكسر صقيع شهر البرودة في مدريـد
في ضباب الفجـر
رأيت بعينيّ هاتيـن
بقلبـي هذا الذي يـرى
رأيت وصول الاطهـار
المحاربيـن المهيمنيـن
من فرقة الحجر الرقيقة الصبلة الناضجةالملتهبة .

*

كان زمـن الفـم
حيث النسوة يحملن غيابا كأنه فحم مرعب
والموت الاسبانـي
اكثر حدة وحرافة من انواع الموت الاخرى
قد افعم الحقـول
التي كان القمح يخلع عليها كرامة حتى ذلك الوقت.

*

وفي الطرقـات
اتحدت دمـاء الانسان المحطومة
مع المياه التي سرت من قلب البيوت المدمرة .
وعظام الاطفـال الممزقين
صمت الامهات المؤثر المتشح بالسواد
عيون المدافعين التي انغلقت الى الابد
كانت تماثل الحزن والخسـارة
تماثل البستان المبصوق
كانت الايمـان والزهرة المفتالين الى الابد .

*

حينئذ رأيتكم ايها الرفاق
وعيناي لمـا تزالا الى الآن تملأهما الكبرياء
لاني رأيتكـم تصلون الى جبهة قشتالة الطاهر
على صفحة صباح مغطى بالضباب
صامتين ثابتيـن
كالاجراس قبـل الفجر
تظللكـم المهابة وعيونكم زرقاء
تأتون من بعيد ومن بعيد
تأتون من اركانكـم
من اوطانكم الضائعـة
من احلامكم المفعمة بالعذوبة المحترقة وبالبنادق
للدفاع عن المدينة الاسبانية
حيث الوحوش يحدقون بالحرية
وينوون اسقاطها والتهامها .

*

يا اخوتي : منذ الآن
فليتعرف الطفل والرجل
والمرأة والشيـخ
عن طهارتكـم وقوتكم

وعلى تاريخكم الجليل
ولتصلوا الى كل الكائنات التي تفتقد الامل
ولتهبطوا الى جوف المناجم التي يمخرها الهواء الكبريتي
ولتصعدوا الى مدارج العبيد التي لا تعرف الانسانية
ولتكتب اسمكم وكفاحكم المرير
جميع النجمات ، كل سنبلات تشتالة والعالم اجمع
وانتصاركم القوي الارضي
كأنما هو شجرة بلوط حمراء .

*

لانكم قد استولدتم من جديد بتضحياتكم
الايمان المفقود ، الروح الغالبة ، الثقة بالارض ،
وفي وفرتكم ، وفي نبالتكم ، وفي امواتكم
يشق نهر رحيب طريقه
مفعم بحمائم الصلب وبالآمال
كأنما هو واد من صخور الدماء الجامدة

معركة نهر خاراما : (٤)

وسط الارض والبلاتين المفرق
من اشجار الزيتون والموتى الاسبان
قاومت يا نهر « خراما » ، ايها الخنجر الطاهر ،
موجات القساه .

*

الى هناك من مدريد
وصل رجال قلوبهم موشاة بالبارود
كالرغيف المجبول من الرماد ومن المقاومة
الى هناك وصلوا .

*

أيها النهر
كنت هناك وسط الحديد والدخان
كغصن من البلور الساقط
كخيط طويل من النياشين
على صدر المنتصرين .

*

لم تكن الحفر ذات المادة الملتهبة
ولا الغارات المتفجرة الثائرة
ولا المدفعية ذات الظلمة المضطربة
لتهيمن على مياهك .

*

مياهك التي نهل منها الظامئون
الى الدماء
نهلوا المياه مرفوعي الجباه
المياه الاسبانية واراضي اشجار الزيتون
وقد غمروها نسيانا .

*

في لحظة من المياه والزمن
نبض مجرى دماء الفزاة والخونة
في ضيائك
كانما هي اسماك في نبع مرير .

*

كان دقيق اهلك الخشن
مرصعا بالمعادن وبالعظام
رائعا ، فمحيا
كالارض الصبية التي دافعوا عن حماها .

*

أيها النهر
لكي اتحدث عن البهاء وعن السيادة
لا يخفي فمي لذلك ولا يداي الشاحبتان
فهناك يبقى موتاك .

*

هناك تبقى سماؤك المفجعة
سلامك الحجري ، مجراك الساري
وعيون اهلك الخالدة
تسهر على ضفافك .

*

المريه : (٥)

وجبة من اجل الاسقف
وجبة مطحونة مريرة
وجبة بها آثار من حديد
مع الرماد ومع الدموع
وجبة مفرقة ، مع نشيج وجدران هاوية
وجبة من اجل الاسقف ،
وجبة من دماء المريه .

*

وجبة من اجل البنكير
وجبة من وجنات اطفال الجنوب السعيد
وجبة من دوي الانفجارات
من المياه المجنونة ومن الحطام ومن الفزع
وجبة من محاور مقسومة ورؤوس مدهوسة
وجبة سوداء ،
وجبة من دماء المريه .

*

كل صباح ، كل صباح كدر من حياتكم
ستجدونها على موائدكم
يتوهج منها البخار
لسوف تبعدونها عنكم قليلا بأيديكم
لكي لا تروها
لكي لا تهضموها مرات عديدة
لسوف تبعدونها قليلا بين الخبز وجبات العنب
تلك الوجبة من الدماء الصامتة

التي سوف تكون هناك كل صباح
كـل صبـاح .

*

وجبة من اجل الكولونيل وزوجة الكولونيل
في حفل العاب السيف ،
في كـل حفـل .
من فوق الشتائم والبصقات
مع ضوء نبيذ الفجـر
حتى تروها راجفة باردة فوق العالم .
اجل ، وجبة من اجلكم جميعـا
ايها الاغنياء هنا وهنـاك
ايها السفراء ، ايهـا الوزراء
ايهـا الاكولون النهمون
يا سيدات الشاي والمقاعد المريحة
وجبة ممزقة ، طافحة ،
يلوثهـا الدم الفقيـر
كل صباح ، كل صباح ، على الدوام المطلق ،
وجبة من دمـاء المريه ، امامكم على الدوام .

*

أرض اساءوا اليهـا :
مناطق فاضت بعذابات لا تنتهي
وصمت لا ينقطـع
نبضات النحلة والصخرة المبادة
ارض زرعتم فيهـا علائم دمـاء جافة وجرائم
بدلا من القمح والبرسيـم .
« جليقية »(٦) ذات المياه الوفيرة
الصافية كأنها مياه الامطار
مالحة الى الابد من الدموع .
« اكستريما دورا » ،
وعلى ضفافهـا المهيبة
ذات السمـاء والالمونيوم
سوداء كثقب الرصاصة
مخانة ، جريحة ، ممزوقة ،
ترقد « بطليوس » بلا ذكريات
وسط ابنائهـا الموتـى
تتطلع الى سماء تتذكرها .
« مالقه » وقد حرثها الموت
طاردوها وسط المهاوي
حتى ساطت الامهات المخبولات
الاحجار بأجساد مواليدهن .
حمّيا ، طائف من حداد
وموت وغضـب ،
حتى استحالت الدموع والاحزان المجتمعة
واستحالت الكلمات والافعاء والغضب
اكوامـا من العظام في الطرقات
وحجرا قد دفنـه القبار .

*

هذا كثير ، كثير قبور
كثير عذاب ،
كثير خبب للوحوش عبر النجوم !
لا شيء ، حتى ولا النصر
يمكن ان يمحو ثقب الدمـاء المفزع
لا شيء ، حتى ولا البحر ،
ولا مسرى الرمـال والزمن ،
ولا زهرة الجيرانيوم الملتهبة
فوق الجدث .

*

« سانخورخو » (٧) في الجحيم :

مربوط ، يتصاعد منـه الدخان
مقيد الى جوار طائرته الخئون
الى خياناته
يتحرق الخائن المخان .

*

تشتعل كليتاه كأنهمـا الكبريت
ويذوب فمه الشرير في لعنات
كجنـدي خائـن .

*

يطير وسط شعلات ابديـة
تقوده وتحرقه الطائرات
يتحرق من خيانة الى خيانـة .

*

« مولا » في الجحيم :

ها هم يجرون « مولا » البغل الكدر
من هاوية ابدية الى اخرى
كما ينتقل الفارق من موجة الى موجة
ينخر فيه الجير والقرون
يطبخونه في الجير والمرارة والنفاق
بعـد ان انتظروه طويـلا في غياهب الجحيم
يخطو الخلاسي الجهنمي ، مولا البغل ،
وقد استحال كدرا وصغارا الى الابد
واللهيب يخرج من جسده .

*

الجنرال فرانكو في الجحيم :

أيهـا التعس الشقـي
لا النيران ولا الخل الملتهب
في عش الساحرات البركانيات

ولا الجليد الذي يلتهم كل شيء
ولا السلحفاة المتعفنة التي تخدش « كرشك »
وهي تنبح وتبكي بصوت امرأة ميتة
باحثة عن خاتم عرس
ولعبة طفل ذبيح
لن يصبح ذلك كله بالنسبة لك
الا بابا مظلما متهدما .

*

اجل .
من جحيم الى جحيم ، ماذا هناك ؟
في عواء فرقك العسكرية
في لبن امهات اسبانيا المقدس
في اللبن والاثداء التي داستها الطرقات
هناك مزيد من الضيعات ، ومزيد من الصمت ،
وباب محطوم .

*

ها انت : جفن بائس ،
روث فرخات الجدث الشريرة ،
بصاق قذر ،
رقم خيانة لا تمحوه الدماء .
من ، من تكون ؟
يا ورقة الملح التعسة ، يا كلب الارض ،
يا صفرة الظلال ذات الطالع المنحوس .

*

وينزاح اللهيب دونما رماد ،
ويشحب ظمأ جهنم المالح ،
ودوائر الحزن .

*

ايها الملعون
فليطاردك كل ما هو انساني
فلتظل خالدا في نيران الاشياء المطلقة
فلتبق ابدا على سلم الزمان
ولا يثقبنك الزجاج الملتهب
ولا الزبد المفترس .
وحيدا ، وحيدا
للدموع وقد تجمعت كلها
لابدية من الايادي الميتة والعيون المتعفنة
وحيدا من كهف من جحيمك
تلتهم الصديد والدماء السواكن
في ابدية ملعونة وحيدة .
لا تستحق ان تنام
حتى ولو دقت عيناك بالدبابيس
يجب ان تبقى يقظا ايها الجنرال
يقظا الى الابد
وسط عفونة من النسوة الولودات
اللائي حصدتهن الرشاشات في الخريف .
كلهن ، وكل الاطفال الحزانى
المقطعين ،
المتيبسين ،
متعلقون في جحيمك
انتظارا ليوم الحفل المقرور
يوم وصولك
اطفال احالهم الانفجار سوادا ،
مزقات حمراء من لحمهم ،
وقنوات من الامعاء الحلوة ،
ينتظرونك جميعا ، جميعا
على حالتهم الاولى
من عبور طريق ، من دفع الكرة ،
من التهام فاكهة ، او من بسمة ،
او ميلاد .

*

بسمة . ثمة بسمات
قد هدمتها الدماء
تنتظر باسنان مبعثرة متحطمة
واقنعة من مادة لا شكل لها
وجوه فارغة من البارود الازلي
والاشباح التي لا اسم لها
والخفيون السود
الذين لم ينهضوا ابدا من فراش حطامهم
الكل في انتظارك
لتمضية الليل ،
يملأون الاروقة كأنهم الطحالب الفاسدة
انهم منا ،
كانوا لحمنا ، عافيتنا ،
سلام حدادتنا ،
محيطنا من الهواء والرئتين .
ولقد ازهرت الارض الجافة عن طريقهم
والآن
ها هم بعيدون عن متناول الارض
قد استحالوا مادة محطومة
مادة مغتالة
دقيقا ميتا ،
ينتظرونك في جحيمك .

*

الفزع الحاد والحزن يخبوان
فلا الفزع ولا الحزن ينتظرانك .
وحدك ، ولتحل عليك اللعنة

وحدك ، ولتكن متيقظا ابدا وسط كل الموتى
وليسقط عليك الدم كالامطار
وليزحمك نهـر مجتضر من العيون المهروءة
يطوف محملقا فيك دونمـا نهاية .

*

نشيد فوق بعض الاطلال :

ذلك الذي رأى النور وهيمن عليه الانسان
واستعمله ورآه ، وتضمخ بالرطوبة
ها هو يرقد ـ ذلك المنديل المسكين ،
وسط موجات الثرى والكبريت الاسود .
مثل البرعم او مثل الصدر
حين ينهدان ناحية السمـاء
ومثل الزهرة التي تصعد من العظمة المحطومة
هكذا تبدت اشكال الدنيا .
آه ايتهـا الجفون ،
آه ايتها الاعمدة
آه ايتها المدارج !
آه ايتها المادة الدفينة المنجمعة الصافية
اي جهد كان قد صاغك اجراسا !
اي جهد كان قد صاغك ساعات '
صفائح من التناسبات الزرقاء
اسمنتا ملتصقا بأحلام الكائنات '
ويتجمع الغبار
والمطاط ، والوحـل .
والاشيـاء تتكاثـر
وترتفع الجدران مثل تعريشات الجلد القاتم .
هناك ، في الداخـل
في بياض ، في نحاس ،
في نيران ، فـي حجر ،
تتكاثر الاوراق والنواح البغيض
والوصفات المحمولة بليل الى الصيدلية
لشخص محموم .
الصدغ الذهني الاعجف ،
الباب الذي شيده الانسان
لكـي لا يفتحه ابدا .
كله راح وسقط في ذبول وحشي .
عدة جريحة ، اقمشة ليلية ،
زبـد قـذر ،
بول قد أريق في موعده
وجنات ، زجاج ، صوف ،
كافور ، دوائر من خيط وجلـد
كل شـيء .
كل شـيء عاد دورة اخرى الى التراب
الى حلم المعادن المضطرب
كل العطر ، كل ما هو فتان
كل شيء تجمع في اللاشـيء
كل شيء يسقط لكي لا يولد ابدا .

*

ايها الظمأ السماوي
ايتها الحمائم ذات زنارات الدقيق
يا حقب لقاحات الازاهير والافنان
انظروا كيف تتحطم الاخشاب
حتى تتشـح بثياب الحداد .
ليس هناك من جذور للانسان
وكل شيء لا يكـاد يستقر على رجفة الامطار
انظروا كيف تتحطم الاخشاب
على فم العروس العاطرة
انظروا الكلمات التي تعبوا في بنائها
والان قد استحالت هلاكا
انظروا فوق الجير ووسط المرمر المتحلل
آثار النشيج وقد غطاها الفطر .

*

انتصار سلاح الشعب :

ولكـن ،
مثل ذكرى الارض
مثل بهاء المعدن والصمت الصخري
هكذا يكـون انتصارك
ايها الشعب ، ايها الوطن وايها الشوفان .

*

تتقدم راياتك التي ملأتها الثقوب
مثل صدرك ،
فوق ثلمات الزمن والارض .

*

النقابات في الجبهـة :

اين هم عمال المناجـم ؟
اين هم من يفتلون الحبال ،
والذين يصنعون نعال الاحذية ،
والذيـن يصلحون الشبـاك ؟
أيـن هم ؟

*

أين من كانوا ينشدون
من فوق اعالي المبانـي
يبصقون ويتشاتمون
من فوق الاسمنت الهوائي ؟

*

اين هم عمال القطارات
المتطوعون الليليون ؟
اين هي نقابة التمويـن ؟

*

حاملين البندقية . حاملين البندقية .
وسط نبضات السهول الشهباء
يطوفون بنظراتهم فوق الحطام

*

يصوبون الرصاصة
في صدر العدو القاسي
كأنمـا في صدر الاشواك
كأنمـا في صدر الافاعـي .
هكذا .

*

آناء الليل واطراف النهار
في رمـاد الفجر الحزين
في حقيقة الضحى المحترق .

*

انتصـار :

مهيب هو انتصار الشعب .
وعند موكبه الفائز العظيم
تلمتع حبات البطاطس العمياء والعنب السماوي
فـي الارض .

*

مشهد ارض بعد معركة :
فضاء منهوش ،
قـوات ممرغة على صفحة الفلال
حدوات محطومـة
قد تثلجت وسط صقيع وحجارة
قمر خشـن .

*

قمر الفرسة الجريحة
المحترقة ، الملتفة باشواك منهكة
معدن او عظام منذرة ،منهارة .
غيـاب ، نسيـج مرير ،
دخان اللحاديـن .

*

فيما وراء هالة النترات المريرة
من مادة الى مادة ، من مياه الى مياه
مسرعين كأنهم القمح المنتشر
محترقين مأكوليـن .

*

لحاء المصادفة ، ناعم في نعومة .
رماد اسود غائب ومنتشر
وليس الآن سوى برد مرنان
وادوات المطر البغيضـة .

*

فلتحتفظا به يا ركبتي دفيئا
اكثر من تلك البقعة الهاربة
ولتمسكا به يا جفني حتى تسمّيا وتجرحا
وليحتفظ دمي بذلك المذاق للظلال
حتى لا يكون هناك مكان للنسيان .

*

مهاجمو الدبابات :

اغصان مجبولة كلها من حر اللآليء
اكاليل ذهبية من بحار وسماوات
هبّات من اكاليل الغار
لكم ايهـا الابطال البلوطيون
يا مهاجمي الدبابات
لقد كنتم في قم الحرب الليلي
ملائكة النيران المخيفين ،
ابناء الارض الاطهار .

*

هكذا كنـتم
مبذورين وسط الحقول
قاتمين كأعواد الزرع
منطرحين تنتظرون .
وفي مواجهة الحديد العاصف
في صدر الوحش الهائل
قد رميتـم
ليس فقط شذرة شاحبة من المتفجرات
وانما قلبكم العميق يتفاوح منه الدخان
سوطا مدمرا أزرق كالبارود .
لقد ثبتم كالطـود
مرهفين سماوييـن
في مواجهة جبال القسوة
يا ابناء الارض والمجد المجردين .
انتم لم تروا ابدا قبل ذلك
سوى الزيتـون
ابدا سوى الشباك تضطرم بالقشور والفضة
انتم قد جمعتم الآلات ، الخشب ،
حديد المحاصيـل والبنايات
وبين ايديكم ازهرت رمانة الغاب الجميلـة
او بصلـة الصبـاح
وبغتة ها انتم محملون بالبروق
تضغطون زنـاد المجد
تتفجرون بقـوى ثائـرة
وحيدين صلابا في مواجهة الظلمة .

*

لقد جمعتكم الحرية من المناجم
وطلبت سلامـا من اجل حرثكم
وقامت الحرية تبكي وسط الطرقات
تصرخ في اروقة البيوت
وعبر الريف
مر صوتها وسط البرتقال والرياح
مناديـا الرجال ذوي القلوب الناضجة
ولبيتم نداءهـا
وها انتم يا ابناء النصر الاعزاء
كم من مرة سقطتـم
كم من مرة محيت اثار ايديكم
وتحطم غضروفكم الدفيـن
وسكتت افواهكـم
وانسحق صمتكم حتى لحق به الدمار
ولكنكـم تنبثقون بفتة من جديد
في وسط الاعصـار
مرة اخرى ،
بكل عنصركم الملتهب الذي لا يسبر له غور
عنصر القلوب والجذور .

*

مدريـد ١٩٣٧ :

:تذكّر في تلك الساعة كل شيء وكل انسان
محمومـا ، مفرقا في المقاطعات
التي بها شيء من الاضطراب ، صوتا وريشا ،
وتقع فيمـا وراء الارض ، ولكنها على الارض .
اليوم يبدأ شتاء جديد .
لا يوجد في تلك المدينـة
التي تضم حدودها كل مـا احب
لا يوجد خبز ولا نـور
ويسقط بللور مقرور على زهور جيرانيوم ذابلة .
وفـي الليـل
احلام سـوداء
نسجتهـا طلقات المدافـع
كأنها ثيران داميـة
وما من شيء في فجر التحصينات
سوى عربة محطومة
وقد حل الفطر وصمت الاعمار
محل عصافير الجنـة
في المنازل المحترقة الدامية الفارغة
التي تتجه ابوابها ناحية السماء.
هاقد بدأت السوق تفتح زمرداتها البائسة
وينتقل البرتقال والسمـك ـ
الذي يأتي كل يوم عبر الدمـاء ـ
الى ايدي الاخت والارملة .
مدينة الحداد ، مبقورة ،
جريحة ، محطومة ، مضروبة ، مثقوبة ،
مليئة بالدماء وشظايا الزجاج
مدينة بلا ليـل
كلها ليل وصمت وقصف وابطال
والان شتاء جديد
أشد عرى ووحدة
الآن بلا دقيق وبلا خطوات
مع قمر محاربيـك
كل شـيء وكـل انسان .

*

شمس واهنـة
دماؤنا الضائعـة
قلب رهيب ، يبكـي مفرقـا .
دموع كالرصاصات الثقيلة
قد سقطت على ارضك القاتمة
لها صوت الحمائم حين تسقط .
يد تغلق ابواب الموت الى الابد
دمـاء كل يوم ، وكل ليلـة ،
وكل اسبوع وكـل شهـر .
دون الاشارة اليكـم
ايها الابطال النائمون واليقظى
دون الاشارة اليكـم
يا من تشيعون الرعدة في المياه والارض
بارادتكـم الشهيرة .
في تلك الساعةاسمعدقاتالساعة فياحدىالطرقات
واحدهم يحدثني
ويأتي الشتاء من جديد
الى الفنادق التي اعيش فيهـا
وكل ما اسمع هو المدينة
وآماد تحوطهـا النيـران
كأنما هـي رغوة الافاعـي
تهاجمها مياه من مياه الجحيم .
ها قد مر اكثر من عـام
والملثمون يلامسون شاطئك الانساني
ويمون من تماس دمائك الكهربية
اجولة من الغزاة ، اجولة من الخونة
قد حاصروا اقدامك الحجرية
ولم يتمكن الدخان ولا الموت
من قهر جدرانك الملتهبة .
وعلى ذلك .. هل من جديد على ذلك ؟
اجـل ،

/ انهم اصحاب الهـلاك
انهم الشرهـون
يترصدون خطاك ايتها المدينة البيضاء
الاسقف ذو الجبهة الكدرة
ابناء السادة الخرئون الاقطاعيون
والجنـرال
ترن في يده ثلاثون قطعة من الفضة .
انهم في مواجهـة جدرانـك
زنار من المنافقين الماطريـس
كتيبة من السفراء العفنيـن
وفواق حزين من الكلاب العسكريين .

*

الحمد لك ، الحمد فـي الفيـم
في البرق ، في العافيـة ،
في السيـوف
ايتها الجبهة الداميـة
التي يتلألأ خيط دمـائهـا
على الاحجار المثخنة بالجراح
انزلاق ذو حلاوة قاسية
مهد صاف مسلح بالبروق
بمواد المدن وهواء الدماء
التي تولد منها النحلات .
اليـوم ،
انت يا خوان ، يا من تحيا اليوم ،
انت يا « بدرو » يا من ترى
وتدرك ، وتنام ، وتأكل :
اليوم في الليـل الخالي من النور
تسهران دونمـا راحة ولا نوم
وحيدين وسط الاسمنت
في الارض التي تقطعت بها الاسباب
من عند الاسلاك التي اتشحت بالحداد
في الغرب ، في الوسط ، ومن الحوالي
دونما سماء ، دونمـا اسرار
رجال كسوار من الحبـال
يدافعـون عن المدينة التي يحوطها اللهيب
مدريـد
التي ارتدت صلبة من ضربة كوكب
ومن اضطراب النيـران
ارض وسهـر
في صمت الانتصار المتعالي
راجفـة كالوردة المنحطـة
تحوط بك اكاليل الغار التي لا تنتهي .

*

انشودة شمسية الى جيش الشعب :

يا اسلحة الشعب !
هنـا !
النذيـر ، الحصـار
ما زالا يسفكـان الارض
ويخلطانهـا بالموت
وقد خلعت عليهـا الابر خشونة !
سلامـا ، سلامـا
سلاما ، تقولها لك امهات الدنيـا
المدارس تقول لك : سلامـا
النجارون الهرمـون يقولون لك سلامـا
يا جيش الشعـب
يقولون لـك سلامـا
مع السنابل ، واللبن ، والبطاطس ،
والليمون واشجار الغار
وكل مـا هو من الارض
ومن فم الانسان
كلهم ، مثل الزنـد
مثل الزنار النابض
مثل ثبات عنيد من البروق
والكـل يتجهز مـن اجلـك
والكل يصب فيـك !
يوم من حديد .
زرقـة محصنـة .
الى الامـام ايها الاخوة
الى الامام نحو الارض المحروثة
الى الامام في الليل الجاف الخالي من الاحلام
الليل المحموم البالـي
الى الامـام وسط الكرمـات
تخطون فوق لون الصخور المقرور
سلامـا ، سلامـا ، استمروا ،
اشد حدة من صوت الشتاء
اشد حساسية من الاجفان
اشد ثقـة من طرف الرعد
مرهفين كالماسة القاطعـة
حربيين من جديـد
مقاتلين على شرعة المياه المغطاة بالصلب في الوسط
على شرعـة الزهرة والنبيذ
على شرعـة قلب الارض الحلزوني

على شرعة جذور الاوراق جميعها
جذور السلع التي تفوح بالشذى على الارض
سلامـا ايها الجنود، سلامـا
ايتها الاراضي الحمراء
سلامـا ايها البرسيم الجامد
سلاما ايتها القرى التي توقفت على ضوء البرق .
سلامـا ، سلامـا ، سلامـا ،
الى الامـام ، الى الامام ، الى الامـام
من فوق المناجم ، من فوق المقابر ،
في مواجهة شهية الموت الكريهة
في مواجهة فزع الخونة الشائك
ايتها الشعوب ، ايها الشعب القادر .
ايها القلب وايتها البنادق
ايها القلب وايتها البنادق
الى الامـام .
ايهـا المصورون ،
يا عمال المناجم ، يا عمال السكك الحديدية
يا اخوة الفحم والاحجار ، يا اقرباء المطارق
والغابات ومهرجان الطلقات الفرحة :
الى الامـام .
ايها المقاتـلون ، ايها الكبار ، ايها الجاويشية
ايها المندوبون السياسيون ، يا طياري الشعب ،
ايها المحاربون الليليون ، ايها المحاربون البحريون :
الى الامـام .
لا يقوم في مواجهتكـم
الا سلاسل متهاويـة
ثقوب من الاسماك المتعفنة
فالى الامـام ! !

ليس هناك سوى موتى يحتضرون
مستنقعات من صديد رهيب دام

ليس مـن اعـداء
فالى الامام يا اسبانيـا
فالى الامام ايتها النواقيس الشعبية
الى الامام يا مقاطعات التفاح
الى الامام ايتها الرايات الفلالية
الى الامام ياحروف النيران الكبيرة
لانكم تحملون في الصراع وفي الموجات
في المروج وفي الجبـال
وفي الشفق المحمل بالعبير الحريف
ميلادا من الثبـات
خيطـا من الصلابة الشديدة .
وفي تلك الاثنـاء
يبزغ جذر واكليل من الصمت
لكي ينتظـر الانتصار المعدني .
كل اداة ، كل عجلة حمراء
كل مقبض منشار او رأس محراث
كل ما تنتجه الارض ، كل رجفـة من رجفان الدماء
تريد ان تتبع خطواتك يا جيش الشعب .
ان نورك النظامي يصل الى الرجال
المساكين المنسيين
ونجمتك المحـددة
ترشق اشعتهـا الاجشة في الموت
وتقيم صرح عيون الآمال الجديدة .

ترجمة : ماهر البطوطي

هوامش :

(١) كريستوفر البحار هو « كريستوفر كولومبس » مكتشف قارة امـريكـا .

(٢) في ١٨ يوليـو ١٩٣٦ قـام العسكريـون بانقلابهـم ضد الجمهوريـة الاسبانيـة وكان ذلك بدايـة للحـرب الاهليـة الداميـة التي انتهت عام ١٩٣٩ بانتصار العسكريين .

(٣) يورد نيرودا هنـا اربعـة عشر مقطعا كلهـا اسماء قرى ومـدن اسبانيـة ، رأينا الابقاء منها على مقطعين .

(٤) نهر خاراما نهـر شهير بالقرب من مدريـد وقعت عنده معركـة من معارك البطولة في الحرب الاهلية الاسبانية .

(٥) المريه احدى مدن الاندلس ، استولى عليها العسكريـون بعـد كثير مـن القتـل والدمـاء .

(٦) « جليقية » ، و« اكستريمادورا » مقاطعتان فياسبانيا، و« بطليوس » احدى مدن المقاطعـة الثانيـة ، « ومالقة »مدينة بحريـة مشهـورة .

(٧) « سانخورضو » ، و « مولا » جنرالان من قادة الانقلاب العسكري الذي ادى الى الحـرب الاهلية . وقد قتـلا فـي حوادث طائرات في الشهور الاولى من الحرب .